بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حدثت صدامات وتوترات بين المسلمين و بين غير المسلمين في الشرق والغرب في السنوات الخمسين الماضية، ومنذ الحروب الصليبية كانت التوترات تطل برأسها من حين إلى حين، وكان وقوع البلاد المسلمة تحت نير الاستعمار الغربي سبباً في استمرار التوتر والصدام، إلى أن تحقق الجلاء و استردت البلاد المسلمة استقلالها السياسي.

لكن الاستعمار ترك وراءه نزاعا ثقافيًّا واسعاً، أدى إلى شق صفوف المسلمين إلى معسكرين متناحرين، أحدهما يعمل لتغريب المجتمع، والآخر يسعى إلى استعادة الهوية العربية الإسلامية له، ولعبت الدول الغربية دوراً فعالاً في نصرة معسكر التغريب، بغية تحقيق التبعية للغرب.

وكان شخص النبي ﷺ ضحية لهذا الانقسام. فمن أجل صرف المسلمين عن الإسلام وإقناعهم باعتناق المسيحية، أو الفلسفة الغربية المادية، تناول النقاد السيرة النبوية بالنقد العنيف، وشككوا في صدق النبي ووصفوه بأقذع الصفات. وردد المتغربون تلك الشكوك في الجامعات ووسائل الإعلام وعبر الفنون المسرحية والسينمائية.

و بعد أن فُتحت أبواب الهجرة إلى الغرب، تكونت جاليات مسلمة كبيرة في كل دولة غربية، وحافظ معظم المسلمين على الالتزام بدينهم، وشرعوا في الدعوة إليه. واستجابت لهم أعداد من الوطنيين، وعدد من النخبة المثقفة أيضاً، وشعر كثير من الغربيين بالقلق من تنامي الوجود الإسلامي في بلادهم، ووقعت احتكاكات نتيجة

لتلك الأوضاع. وكانت شخصية النبي محمد ﷺ ضحية لذلك، فكثرت الكتابات والرسوم الكاريكاتورية التي تسيئ إليه، الأمر الذي أثار غضب المسلمين في أوربا وفي العالم الإسلامي عامة.

وعلى المستوى النظري تنبأ الكاتب الأمريكي الشهير "فوكوياما" بـ"صدام الحضارات"، وصدام الحضارتين الغربية والإسلامية خاصة، ورفض نظريته هذه معظم العلماء في الشرق والغرب، ونادوا بمبدأ مضاد هو: "حوار الحضارات"، وبعد مؤتمرات الحوار العديدة بين المسلمين وبين الغربيين، كان من المنطقي أن تخمد الحملة على شخص النبي ﷺ تبعاً لذلك، لكن ذلك الأمل لم يتحقق، وتضاعفت الافتراءات على "النت" وفي الصحف والمجلات، على شخص النبي محمد ﷺ.

وفي المقابل ألَّف كُتاب كبار من الغربيين الكتب ونشروا المقالات التي تنصف النبي وتبرئه من تلك الافتراءات، وفي مقدمتهم "أنَّا ماري شيمل" الألمانية، والدكتورة "كارين أرمسترونج" البريطانية و "الدكتور مايكل سيلز" الأمريكي، وغيرهم كثيرون.

وهكذا أتيح لقطاع من المواطنين الغربيين أن يعرفوا الإسلام ونبيَّه وأمته معرفة صحيحة.

وهذه الدراسة إسهام متواضع لبيان بعض جوانب الشخصية المحمدية، تلك التي ثار حولها الجدال في وسائل الإعلام الغربية، وعلى "النت". إنها ليست تاريخاً شاملاً لنبي الإسلام، ولا لأي حقبة معينة من حياته.

ومنهجنا في هذه الدراسة هو المنهج العلمي الموضوعي الصارم الذي لا يعترف بغير الحقائق.

وأملنا أن تصل هذه الحقائق إلى أكبر عدد من غير المسلمين لوضع حد للافتراءات التي تعكر صفاء تفكيرهم وتقودهم إلى إصدار أحكام خاطئة على المسلمين واتخاذ مواقف عدائية منهم كأفراد وكأمة وديانة وثقافة وحضارة تمهد للصدام بين الفريقين.

أحمد عبد الرحمن